من منشورات
مكتبة الامام الحسين ع العامّه
في السماوه

مِنْ هُدىٰ أهل البيت

-١-

أمير المؤمنين ع

لمحات خاطفة حول الحديث عن شخصيته الفذه

الشيخ مهدي السماوي

١٢٧ العلي الزاكي

من منشورات
مكتبة الإمام الحسين (ع) العامة
في السماوة

(من هدى أهل البيت)

(١)

أمير المؤمنين (ع)

لمحات خاطفة حول الحديث عن شخصيته الفذة

بقلم
الشيخ مهدي السماوي

مكتبة الروضة الحيدرية
٤٨١

مطبعة النعمان النجف تلفون ٩٧٠

اهداء من الشيخ محمد آل صادق وأولاده
الى مكتبة الروضة الحيدرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من اختارهم الله محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المقدمـــــة

لم يكن في هذا الكراس سوى كلمة موجـزة كما يشير اليها العنوان : لمحات خاطفة حول الحديث عن شخصية الامام (ع) الفذة .

ومن الواضح ان توفية الموضوع حقه ، والقدرة على تجلية القضية بالشكل الكامل ليست بستطاع اعاظم اهل البيان ، فان الانسان — في مثل هـذا الموضوع — كلما استطاع قلمه ان ينحدر مجليـا موهوبا فلا يستطيع ان يعبر عما في النفس من مشاعر الاعجاب ، والتعظيم ، لان القـدرة التعبيريـة مهما ارتفعت فليس بوسعها ان تجسد ما في النفس وهي في العالم الروحاني بعبارات محـدودة في معانيها ، والنفس مهما علت فليس بوسعها ان تستوعب هذا العالم العظيم فلا يمكنها ان تعرف منه الا النزر القليل

اهداء سماحة الشيخ محمد آل صادق وأولاده
الى مكتبة الروضة الحيدرية

عالم امير المؤمنين وعظمته في علمه ، او في ايمانه ، او في قوته او كل ما يعود الى حياته الشريفة ذلك الواقع العظيم .. الذي لا يعرفه الا الله ورسوله الكريم : « يا علي لا يعرفك الا الله وانا » فما شأني وشأن العالمين جميعا بعد ذلك فلا أطمع ان اكون قد أعطيت عن ذلك صورة صادقة ... كل ما ارجود هو ان احظى برضا سيدي ومولاي امير المؤمنين (ع) وانا أقدم هذا الجهد المتواضع الى سدته الرفيعة وذلك كل ما اتمنى .

ولا يفوتني ان اشكر اخواني المؤمنين الذين تفضلوا علي بأن اتولى هذا الحديث فقد طلبوا ـ دام توفيقهم ـ ان يتم ذلك مشاركة في الاحتفال الذي تقيمه السماوة في يوم الغدير المبارك ـ كعادتها كل عام ـ واستثمارا لما تعطيه هذه المناسبة الكريمة من خير ، وليكون بعد ذلك بداية السلسلة من الكتب

الاسلامية — من هدى أهل البيت — التي اخذت مكتبة الامام الحسين (ع) العامة في السماوة على عاتقها اصدارها كل شهرين مرة واحدة .

ولقد كان اختيارهم لهذه المناسبة السعيدة موفقا للغاية ، فان في يوم الغدير ذكرى الرسول (ص) جد الإمام الحسين (ع) وهو يصدع بالحق مبلغا نداء القرآن وهتافه في الجماهير المحتشدة من المسلمين — وليبلغ الحاضر الغائب — في المهمة الضخمة « وان لم تفعل فما بلغت رسالته » : وهي اختيار الله تبارك وتعالى عبدا له امتحن قلبه للايمان ، وعلم صدقه واخلاصه وامانته وهو العليم الحكيم « الله اعلم حيث يجعل رسالته » فسيلحق رسول الله (ص) برفيقه الاعلى ، وسيكون بعده (علي) موضع الرسالة إماما للمهتدين وعلما للمتقين واميرا للمؤمنين . — فليقوموا بما يلزمهم من المراسيم المفروضة في يوم عقد

الولاء ، يوم البيعة الكبرى يوم الغدير الاغر •

ومما ينبغي ان اذكره : ان هذا الحديث او الكلمة التي ستقرأها لم تكن حديثا عن الغدير ، وانما هي لمحات خاطفة كانت اثرا من آثار المجلس المنعقد لهؤلاء المؤمنين اخذ الله بأيديهم وشكر صنيعهم فقد كانوا يتناولون فيه كل ما يرتبط بتعاليم الدين الحنيف ، واحكام الشريعة المقدسة ، وما يعود الى سيرة وحياة أهل البيت (ع) •

وقد كان الحديث في احدى هذه الامسيات حول عجز البلغاء والمتكلمين عن ان يتناولوا بالبحث التحليلي لشخصية امير المؤمنين(ع) وقد لوحظ بعض الكتاب وهم يتناولون ذلك انهم يزيغون ما وسعتهم اللباقة في الموقف الذي عنه يتحدثون •

فهل كان الإمام شخصية يمكن ان تخفى على هؤلاء الكتاب ليلتمس لهم العذر بذلك ؟

أو كما قال بعض كتاب هذا العصر : اننا حين نعظم إمامنا ونقدس شخصيته متأثرون بدافع التعصب لما نعتقد فيه من مقام عظيم ؟

أو ان العذر في ذلك ان هـؤلاء الكتاب انما يلتوون في الحديث عنه أو يهربون من تطرق بعض الجوانب فيه خشية من ان تثير بعض النقاط الخلافية فتسيء الى وحدة المسلمين واخوتهم التي يلزم كل مسلم ان يحافظ عليها ويهمه امرها ، فما احوجنا الى توحيد الكلمة على كلمة التوحيد ..

كل هذه الاحاديث دارت وانتهى بهم المطاف الى ان شخصية الامام (ع) هي الشخصية الفذة التي لم يكن لها بعد رسول الله (ص) من نظير ...

وهذا كتاب الله اصدق الحديث اعظم شاهد على ذلك ... وهذه السنة الصحيحة والمتواترة وأقوال المسلمين ـ وان كان لا اهمية لذلك بعد

كتاب الله وسنة رسوله ـ واعتراف حتى اعدائه الحاقدين عليه فضله وعظمة مقامه الذي لا يدانيه فيه أحد بعد رسول الله (ص(سيد الكائنات •

وهذا تاريخه المشرق وواقعه العظيم لمن اوضح الادلة واصدق البراهين علىذلك مما لا يستطيع احد ان ينغض فيه مهما غلى به او انحرف عنه •

وسيظل كلمة الله الباقية وحجته القائمة على العباد على اختلاف دياناتهم ونحلهم •••

ولننشد مع بولس سلامة وهو يذكر سيد الوصيين •

يا سماء اشهدي ويا ارض قري
واخشعي انني اردت عليا
مهدي السماوي

بسم الله الرحمن الرحيم

لامير المؤمنين (ع) في حياته الشريفة (المعجزة) أيام ومواقف جلت عن الوصف ودلت على عظمته التي لا تدانيها عظمة في الادميين .

ولامير المؤمنين فيما نزل من الذكر الحكيم وعلى لسان الرسول الصادق الامين فضائل لا تتأتى لاحد سواه ولا يمكن ان يقرن به احد بعد ما ورد في حقه ما لم يرد في غيره . ان امير المؤمنين خير البريّة واخو رسول الله : الصفوة في العالمين .

ولذلك ترى كبار الكتاب والباحثين لا يستطيعون عند تناول شخصيته العظيمة بالبحث والتحليل ان يوفوها حقها من الايضاح والتفصيل . . . اترى يعوزهم البيان فلا يسعفهم — كما يبدو من خلال

منطقهم — ان يعطوا العبارة الدقيقة المحـددة كما يصنعون في الترجمة للشخصيات التأريخية الكبيرة ؟ أم ترى ماذا ؟

— ١ —

ألأن الإمام (ع) لم تعرف سيرته ومعالم حياته ومآثره ؟

يتفق الجميع حتى الذين لم يدينوا بالاسلام على ان ذلك لم يكن هو السبب فان سيرته اوضح السير التي عرفها الناس وعرضها التاريخ وأسهب المتحدثون عنها حتى الاعداء الحاقدون عليه لا يسعهم انكار فضله • ومواقفه أشهر المواقف وادعاها للحفظ فهو لم يكن ليخفى وهذي مآثره الخالدات يدوي بها الدهر جيلا فجيلا وتنحني تعظيما لقدسية شخصيته الانسانية في كل مكان وزمان •

هذا على الرغم من المحـاولات الآثمـة التي استنزفت كل ما تملك من طاقات وقدرات من اجل الحط من قيمة هذه الشـخصية • وتغطية واقعهـا العظيم • وكيف تنجح مثل هذه المحـاولات وارادة الله لا بد ان تتحقق وحجة الله لا بد ان تقوم • ولا بد ان تبوء بالفشل مثل هذه المحاولات ، فالامام (ع) خيرة الله في خليقته فهو مجمع الفضائل الانسانيـة العالية ، وملتقى القيم الرفيعة الخالدة ، ومجتـلى المثاليات الحقه • والمثل الاعلى للبطولات الفذة في كل مجال • يقول ابن ابي الحديد :

فلو ان ماء الابحر السبعة ـ التي
خلقن ـ مداد والسماوات كاغد
وأشـجار خلق الله أقـلام كاتب
اذا الخط أفناهن عـادت عوائـد

وكان جميع الانس والجـن كتبـا
اذا كلٌّ منهم واحد قـام واحـد
وخطـوا جميعا منقبـا بعد منقب
لمـا عدّ من تلك المناقب واحـد

ويكفي من الدواعي لتخليد ذكره المبارك مـا رواه المحدثون من جميع الفرق الاسلامية وبمضامين متقاربة مما يحث على ذكره المبارك واستماع فضائله الجمة . . نذكر على سبيل المثال ما رواه الخطيب الخوارزمي في المناقب قال : قال رسول الله (ص) ان الله تعالى جعل لأخي علي بن ابي طالب (ع) فضائل لا تحصى كثرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بهـا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخـر ، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ، ومن

نظر الى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر • ثم قال :ـ النظر الى وجه امير المؤمنين علي بن ابي طالب عبادة ، وذكره عباده لا يقبل الله ايمان عبد الا بولايتهوالبراءة من اعدائه»(١)

أفيمكن ان تخفى شخصية هذا شأنها وقد اقام الله به حجته وأنار سبيله •

---

(١) كشف الغمه في معرفة الائمه لابي الفتح الاربلي ص ١١١ ــ ١١٢ •

— ٢ —

واذا لم يكن الخفاء في هذه الشخصية العظيمة هو السبب المانع فقد يكون وضوحها والمبالغة فيها بين حدي الافراط والتفريط يجعل من الكتاب حيارى حينما يتحدثون عنها يغالي فيها بعضهم فيصل به الغلو الى التأليه له فيهلك بذلك ، ويفرط في حقه بعض آخر فيبالغ في عداوته وبغضه فيهلك بنصبه وجفائه .

ولما كانت شخصية الامام (ع) الكبيرة يتأثر بها الناس حبا وبغضا فليس بوسعهم الهيمنة على ذواتهم والسيطرة على منطقها ، والخروج عن اطارها ما دامت مندمجة بالولاء له ، او منحرفة بالبعد عنه كسبت

ذلك من محيطها ونشأت عليه [١] فلا يمكنها الخروج عنه الى خلافه .

وهذا ايضا لا يعلل الحيرة التي تأخذ الكتاب وهم يتحدثون عن شخصية الامام (ع) صحيح : ان هناك مغاليا بالامام (ع) وصل به الغلو الى التأليه له، وقاليا له هالكا بنصبه وعداوته وقد انبأ رسول الله (ص) عن ذلك كما قال الامام (ع) هلك فيّ اثنان محب غالٍ وعدو قالٍ .. ولكن ذلك لا يعني ان الناس كلهم على ذلك وفي هذا تنكر للكثرة من الامة التي التزمت جانب القصد والاستقامة بين هذين الهالكين يحبون الامام (ع) ويوالونه ويقدسون شخصيته ويعظمون مقامه ، ويمتثلون أوامره أخذا

---

(١) تجد مضمون ذلك مكررا في مهزلة العقل البشري — للدكتور علي الوردي خصوصا موضوع: علي بن ابي طالب .

بما أمر الله به عباده على لسان رسوله الامين في اكثر من موقف .

على ان هذه الجبرية التي يتحذلق بها هـذا البعض ليس فيها شيء من النصف للانسان اذ تعتبره كالآلة الميكانيكية تبطل فيه اختياره ، وتلغي ارادته، حين تفرضه كائنا مضطرا واقعا تحت وطأة العوامل النفسية والاجتماعية مأخوذا في مؤثراتها .

وتشط هذه النظرية المجحفة في غرورها فتدعي بان الانسان صاحب العقيدة قد شدته عصبية رعنـاء وقيده هوى أعمى فلا يعود يبصر الواقع كما يراه المبصرون، قد انطمست بصيرته ، وخرست فطنته، وانطفأ مصباح عقله ، فلا يعقل الا ما يملى عليه على انه معقول من قبل عقيدته ، اقـرأ ما يكتبـه أحـدهم باسم العلم الحديث ، والمنطق الحديث : « ان من الظلم حقا ان نعاقب الناس على عقائدهم التي لقنوا بها في نشأتهم

الاجتماعية ، والمنطق القديم مبني على اساس ان الانسان يعتنق عقيدته بارادته وانه يصل اليها عن طريق التفكير والروية .. وهذا خطأ يؤدي الى الظلم في كثير من الاحيان .. الواقع ان الانسان يؤمن بعقيدته التي ورثها عن آبائه اولا ثم يبدأ بالتفكير فيها اخيرا ، وتفكيره يدور غالبا حول تأييد تلك العقيدة ... ومن النادر ان نجد شخصا بدل عقيدته من جراء تفكيره المجرد وحده فلا بد ان يكون هناك عوامل أخرى نفسية واجتماعية تدفعه الى ذلك من حيث يدري ولا يدري . »[1] .

ومن التجني على كتاب الله القرآن الكريم ان يفسر آية من آياته بما يشتهي ليستدل بها على ادعاءاته فهو يستشهد بقوله تعالى « انها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »

(١) المصدر السابق ــ الوردي ص ٥٢ــ٥٣ .

فيقول : « ان ما وصف القرآن به عقول الناس يشبه الى حد بعيد ما اكتشفه العلم الحديث من طبيعة العقل البشري ، فالعقل البشري مغلف بغلاف سميك لا تنفذ اليه الأدلة والبراهين الا من خلال نطاق محدود جدا ، وهذا النطاق الذي تنفذ من خلاله الادلة العقلية مؤلف من تقاليد البيئة التي ينشأ فيها الانسان في الغالب وهذا هو ما اسميته في أحد كتبي السابقة بالاطار الفكري »[١] .

انه الغرور بما سماه العلم الحديث ، وكأن العلم الحديث هو المدرسة الفكرية التي يتبعها المؤلف الدكتور فقط وما عداها من المذاهب الفكرية والحقول العلمية المختلفة فليس من العلم بشيء .

ولا يخفى ان القرآن في معرض التنديد بمن لا يفقهون آيات الله البينات فهم مرضى القلوب

---

(١) نفس المصدر .

منطمسوا البصيرة وليس كل الناس على ذلك حتى يكون ذلك من طبيعة العقل البشري ، فتعميم هـذا الحكم على كل الناس وادعاء ان القرآن اراد ذلـك بهتان عظيم .

ثم ان المتحلل الذي لا يلتزم بمنطق الحق ولا يسير على هدى العقيدة الصحيحة كالمتقيد بعصبيتـه المصر على جحوده وعناده للحق بعدما رآه كلاهمـا أعمى القلب ، فتخصيصـه بخصوص المغلف عقـله بالاطار الذي تنشأ عليه في مجتمعه وان المراد للآيـة هو خصوص هذا مع ادعاء ان الناس جميعا على هذه الشاكلة ان هو الا افتراء نعوذ بك اللهم من شـطط الاهواء (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) انه من التنكر للانسان في ارفع قيمة حين يعتبر كائنا لا راديـا في اعتناقه المبدأ الذي اخذ به ، وانه تيه وصلف يخرج

الى الناس على انه علم وثقافة ...

ولسنا في هذا مدفوعين بدافع التعصب الذي لا يتعقل ، فان من البديهي ان هناك امورا يجتمع على الاعتراف بها جميع العقلاء كادراك الحق والباطل والتمييز بين الحسن والقبح فما اكثر ما يقول الانسان — اذا رجع الى نفسه — هذا حق وهذا ظلم ، وهذا جميل ، وهكذا ... فان من الامور الثابتة ان الانسان يعجبه الجمال في المنظر الجميل والفعل الجميل مثلا فيحدث فيه عاطفة أو انفعالا ، ولكن هذا الانفعال لا يجعل حاجبا بين الناظر والواقع الجميل المعجب به، بحيث لا يستطيع الانسان — في مثل هذا الحال — الحكم عليه لانه مأخوذ بروعته ، ومسحور بجاذبيته مشدود اليه فهو لا يستطيع الانخلاع عن تأثيره حتى يمكنه الحكم عليه ...

ان هذا الرأي لو صح لكان في حقيقته نكران

للذوق الانساني بجملته ، اذ ليس بمستطاعه — عند إعجابه بالجمال على هذا الرأي — ان يميز بين القبح والجمال او بين مناظر القبح والجمال ... ومثله القول في الفضيلة في كل مجالاتها ، فان الطبع الانساني النظيف يعشق الفضيلة ، ويحترم الفضلاء ، وهكذا القول في العلم ، فان الانسان بفطرته يقدر العلم ويكبر العلماء . (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) .

من البديهي ان هناك أمورا يجتمع على الاعتراف بها جميع العقلاء ، وتلتقي على صعيد تقديرها الفطرة الانسانية عند كل عاقل ؛ فان أريحية السخي يكبرها حتى البخيل وخلق الشجاعة يعظمه حتى الجبان والمتهور وشرف العلم يميزه حتى الجاهل وجمال الحسن يدركه حتى الدميم ، واستقامة العادل يجلها حتى الجائر ... وهكذا في كل الخصال الشريفة ،

والفضائل الجليلة كالحلم والصبر وصفاء الذات ...
ومثل الاخلاق العلوم النافعة بمختلف فروعها .

فاذا اتضح ذلك عدنا الى القول بان الحب والانجذاب نحو شخص حاز على شرف أحدى هذه الخلال الحميدة أوجميعها لايمنع المنجذب اليه والمحب له أن يقول الحق فيه ، او يفهم اللطف المتمثل بما صدر منه من الفعلة النبيلة ، والقولة الرقيقة ، اذا تم هذا أتينا الى الحديث عن موالاتنا لأهل البيت عليهم السلام وتعظيمنا لعلي وآل علي (ع) هل كان ذلك لمحض الهوى والعصبية فلا نستطيع التخلص من أسرها ، والتحرر من تحكمها ، فلا يسلم حكمنا فيهم ولا يكون موضوعيا بحثنا عنهم ؟ .

أم ترى انه قائم على أسس برهانية مكينة يعتمدها العقلاء في كل زمان ومكان ومهما بقي العقل الانساني سليما معافى ويؤمن بها المسلمون على أختلاف فرقهم

ونحلهم ؟ . . وهذاهو الحق الذي ستقرأ بعض أدلته حينما نذكر مجموعة من ذلك بعد ان نرفع ما قد يلتبس على بعض الاذهان ويقف حاجزا دون ولوجهم مثل هذه البحوث .

— ٣ —

فاذا لم تصح هذه الجبرية العلمية المزعومة التي تخفف الانسان من ذنوبه وتبعاته ، وتحلله من المسؤلية في كل ما يأخذ ويدع وتلغي فيه قيمته واعتباره الذي كرمه الله به وفضله على أكثر مخلوقاته ...

وقد مر أن الامام (ع) لم تكن لتخفى شخصيته فهو أعظم شخصية بعد رسول الله (ص) وأكرم انسان على الله بعده فبماذا نعلل اذن ما أسلفنا من السؤال في مطلع الحديث ؟ أيمكن ان نعلله بأن الحديث الصريح والمفصل عن الامام (ع) يثير خصومات وخلافات بين المسلمين والحديث عن الشؤون الخلافية بين المسلمين من دون مبالاة بما تثيره من غبار وما تؤدي اليه من تبرم وسخط بعضهم على البعض الآخر لايقدم عليه الا انسان لايهمه أمر المسلمين ،

ولا يعنيه ماينتهون اليه بسبب ذلك من سوء العواقب خصوصا في عصرنا الحاضر الذي تعاونت فيه قوى الضلال والكفر وتآزرت عليه المطامع والاغراض الخبيثة المختلفة .

في هذا الوقت الذي نحن أحوج فيه الى لمّ الشمل بعد التفرق ، وجمع الشتات بعد التصدع ، وتوحيد الكلمة بعد الاختلاف .

وما يعانيه المسلمون اليوم من مشاكل عديدة وويلات في مختلف المجالات ما هو الا من بعض نتائج هذه التفرقة ، ، فان التفرقة تؤدي الى الانحلال وهو ينهي الى التدهور ... ليس في ذلك شك .

ولئن كان لمن سبقنا في العصور الغابرة من الغايات والمبررات ـ غير المشروعة قطعا ـ في اثارة الفتن والتفرقة بين الصفوف المتآلفة المتعاونة ، وزرع الاحقاد والضغائن في القلوب المتعاطفة المتحابة . .

فان كل ما يعيد ذلك من جديد أو يثير غبارا من هذا النوع ليس له ما يبرره ، وهم أحوج الى تكاتف الجهود الخيرة وتوحيد القوى المؤمنة من أجل رفع كلمة التوحيد واظهار الحجة البالغة في الدين الذي فيه تحقيق العزة والكرامة والسعادة التي من أجلها خلق الانسان .

من البديهي : نحن اليوم احوج ما نكون في استعادة مجدنا والحفاظ على كياننا الاسلامي الجبار الى تحقيق نداء القرآن فينا وفرضه علينا :«تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

ولكن من أعظم مواقع البر والتقوى ان نلتزم المبدأ الذي سنه الله لنا متقيدين بالموالاة التي فرضها الله علينا آخذين من المصدر الذي جعله الله لنا مشرعا وموردا غير متنكبين عن الطريق الذي رسمه الله لنا ومن هنا تبدو ضرورة التعرف على أفضلية أهل

البيت (ع) وليس في ذلك غضاضة على احد وهم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله ، وشأن المسلمين ان يكونوا اكثر حرصا على ما ألزمهم به دينهم : الاسلام وليست الدعوة الى ذلك دعوة الى تشتيت الشمل او اختلاف الكلمة ..

ولئن كان هنالك بعض الفوارق بين المسلمين في بعض المعتقدات والتعاليم ، والتي حدثت من جراء الاختلاف في الكلمة والتضارب بالرأي ؛ فان لهم في التقائهم بعقيدة التوحيد والنبوة الواحدة ، والكتاب الواحد أعظم المصادر التي يرجعون اليها ويتفاهمون على ضوء من توجيهها .

ويجهل الدين من يزعم أن الدين سبب الاختلاف في الكلمة ، والتضارب في الرأي ، فالدين يدعو الى الاخوة والمحبة والتعاون كأساس في بنائه الاجتماعي

الضخم من تشريعه العظيم .

وانما نشأ الاختلاف كنتيجة لاتباع الهوى والشهوات وما تهفو له النفوس في نزعاتها ونزغات الشيطان ولم يتغلغل الايمان منها في الاعماق ، ولذلك فان فيما بين المسلمين من الركام الهائل من مخلفات القرون القديمة أحقادا وضغائن في القلوب ، ووجهات نظر مختلفة أكثرها المخطيء ، واحاديث اغلبها باطل موضوع ، وتاريخ مسطور مشحون بالكذب وظلم الحقيقية وتغطية الواقع بمختلف الوسائل والاساليب متأثرا بمختلف الدوافع والاسباب ، كل هذا وأزيد من هذا ليس من الحكمة اغلاق باب البحث دونها فان هذا هو الواقع واذا ترك على حاله واغلقت باب التحقيق ضاع الحق من بين هذا الركام ، واستمرت الايام ، واستحثت هذه الاسباب خطاها وهي تزيدفي مسراها ضغثا على ابالة كل يوم جديد ، فاذن لايحل

المشكلة اسدال الستار دون هذا البحث ، بل يزيد منها ويضيع الحق ، ويوقف التحقيق العلمي الذي به تتقدم الامم والمجتمعات ، فاذا عرفنا ان التعرف على العترة الطاهرة الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرا ، والامام علي أبي هذه العترة هو الوسيلة التي بها نعرف مبدأنا عقائد وتعاليم ،فهم باب الله الذي منه يؤتى وسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق • اذا صح ذلك ــ وهو من الامور التي لاتقبل الشك بين المسلمين في مصادرهم العالية كتابا وسنة ــ فقد اتضح اذن أن هذا البحث من الضرورات التي لاغنى عنها • • • وواضح ان التعرف والتحقيق غير النبش والاثارة •••

ومن هنا كان لزاما على من يريد الحق ان يتحرى الحق على أساس من الدليل الواضح المشرق الذي تقوم به الحجة وترتفع الاعذار على ضوء من الكتاب

الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،وعلى هدى السنة الصحيحة والعقل الرشيد ... ولو سار المسلمون على النهج القويم : آخذين بكتاب الله مسترشدين بسنة رسوله الكريم (ص) لأصبحوا وقد حقق الله بهم الغاية التي من أجلها خلق العالم .

— ٤ —

واذا لم تكن هذه الامور أسبابا تصلح لتعليل سؤالنا السالف الذكر اذن ماذا ؟

يمكن ان نقول : أن شخصية الامام (ع) خفية في وضوحها ،وواضحة في خفائها ،فالامام (ع) لايرقى اليه الطير وعنه ينحدر السيل ، فمقامه واضح كل الوضوح أقام الله بذلك حجته على عباده ، ولكن الوضوح كلما ازداد في الشيء تناهت لغة التحديد ووقفت عند حدودها ، ومن ثم يبدو العجز الانساني في تحديد من تعالى على التحديد ....

ان الفلسفة لتقر هذا ، والمعرفة الصحيحة تثبته والاعتبار يدل عليه : ان لغة التعريف تعتمد في إزالة الخفاء عن الشيء بما يدل عليه من الامور الاكثر وضوحا منه ، فاذا كان للموجودات في تقررها في

الفكر او الخارج وضوح ومعرفيه فانما تقومها بوجودها ونستطيع ان نعرفهـا بالوجود او الموجود الاوضح بخلاف الوجود نفسه ؛ إذ لم يكن شيء أوضح منه حتى نستطيع ان نعرفه به .

ومن هنا تبين :ان الوضوح كلما ازداد في الشيء كان هو السر في خفائه وعدم الاستطاعة في التعريف له ، ومن هنا نعرف ما وصف به أهل البيت بانهم الاشباح وان امير المؤمنين هو الظاهر والباطن لخفائه بالرغم من وضوحه ؛ فاذا قال الادباء مثلا — وهم اللسان المعبر في المجتمعات — عن المتنبي بأنـه: — ماليء الدنيا وشاغل الناس ، ولم يكن المتنبي الا أديبا شاعرا من الادباء ، وكلما ارتفع حظه في البيان بدت له قيمة من قيم نهج البلاغة الذي قيل عنه : دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ... وهو بعض آثاره الخالدات ، فاذا أغضضنـا النظر عن

الاعتبارات الاخرى التي كان محل امير المؤمنين منها محل القطب من الرحى .. وقد قال الادباء عن هذا الاديب من الناس المحدودين ذلك القول فماذا سيقول الادباء عن صاحب نهج البلاغة وماذا تفصح اللغة في التعبير الدقيق عن سيد الكائنات بعد الرسول (ص) اذا لم نستطيع التعبير عن ناحية من نواحي شخصيته الكثيرة النواحي والبعيدة الآفاق . يقول المتنبي :

وتركت مدحي للوصي تعمدا
اذ كان نورا مستطيلا شاملا
واذا استطال الشيء قام بنفسه
وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وبعبارة أخرى اكثر بيانا :

انه ليعجز البلغاء من الناس الذين يهمهم أمر نفوسهم وأمور الناس أن يأتوا بتحديد دقيق لمعالم الشخصية الفذة — شخصية الامام العظيم امير المؤمنين

عليه السلام لقصور أداتهم أن تقوم بدور العدسة اللاقطة في تصوير من تعالى في حدوده وآفاقه على مستواها الضيق المحدود فهي وان حسبت انها شيء مهم ولكنها على كل حال عاجزة لاتأخذ الا بعض ما ظهر لها بنسبة محدودة بحدود مستطاعها • ان العقل الذي يحترم منطقه ليقف عند حدود ادراكه ••• فاذا استطال عظيم على الادراك صعدا فلا يستطيع العقل أن يضع له في منطقه المحدود حدودا •

وقد يهولنك هذا التأكيد ، وقد يعتبره البعض مغالاة : ان علي بن أبي طالب انسان •

ولا شك ان علي بن أبي طالب انسان ، ولكنه تسامى بانسانيته في كل مقاييس الفضيلة والكمال حتى لتعتز الفضيلة والكمال أن يكون هذا الانسان مقياس الكمال للانسان • • •

انه انسان ولكنك تجد الفرق كبيرا — حين تتأمل

ما عليه الناس — بين انسان وانسان ، قد يكون أبعد — في حدود مايملك الناس من مقاييس — من السماء الى الارض .

ان عقل الانسان ميزانه كما قيل في المثل السائر ولكن الموازين ليست متساوية للاشياء فان لهاحدودا معروفة وهي تتفاوت فيما بينها في الحدود تفاوتا عظيما ولكنها على كل حال محدودة فيما يعرف الناس من موازين ؛ فالميزان الذي يحمل الف حقة مثلا اذا وضعت فيه ما يفوق ذلك تهبط الكفة الحاملة وتقف عند حدها فلا يعود يعرف الواقف على ذلك علىوجه التحديد (كم الوزن) ولكنه يعرف على الاجمال أنها فوق هذه الحدود .

لفت نظري أطفال في الطريق يتحدثون بينهم ، قال أحدهم : أتدري كم هو عرض البحر في البصرة؟ قال الثاني انه بمقدار نهرنا خمس مرات ،قال الآخر

وطوله ؟ فأجابه بمقدار سعة بلدتنا . وذهبوا قانعين.

إن هؤلاء الاطفال تحدثوا في حدود ادراكهم ، وقد أقول بدل هؤلاء الاطفال بأن عرض البحرمثلا أكبر من النهر المذكور مائة مرة او ألف مرة،او اكبرمن هذا العدد بمقدار محدد .. .

إنني على أي حال قد حددت كهؤلاء الاطفال ... انهم اعتبروا عدد الخمسة كبيرا ، وقد اعتبرت عـدد المائة او الالف كبيرا ، إنني اذن مثلهم اذا لم أقف في تحديد الامور عند الحد الذي أملك وأعترف بالعجز اذا كان فوق ما أملك .

أجل قد يهولنك هذا الحديث وقد يحمل البعض على القول بأنه مغالاة :انه انسان وهذا الكلام تجاوز به عن حدود الانسان ...

ولعل هذا ما يحمل بعض كتابنا المعاصرين على تجنب الحديث عن هذه البحوث خوف أن يتهموا

بشيء من ذلك فهم لايتعرضون مثلا للحديث عن المعجزة ، او الملك ، او الشيطان او ما شاكل ذلك مما يهرب عن الكتابة حوله بعض الكتاب وان آمن به.

انه انسان وانني اتفق مع هذا القائل بانه انسان، ولكننا معا تتفق ايضا بانه انسان عظيم اجتباه الله وفضله فكان له مقام عظيم « يا علي ما يعرفك الا الله وانا » ألم يكن الامام علي معروفا فأي معرفة يريدها الرسول وقد نفى ان يعرفه بها احد غير الله ورسوله العظيم (ص) انها المعرفة الحقيقية الدقيقة .

انه انسان ... ولا احيلك الى بعيد فهذا القرآن الكريم كلام الله بيننا يقرأه كل مسلم فلا يعجب ولا يتهول والقرآن يحدثه عن هذه الامور الخارقة للعادة والمعجزة للانسان قد قام بها انسان ايضا ــ باذن الله واقداره ــ فإحياء الموتى ، وابراء الاكمه والابرص وتحويل العصا ثعبان يلقف كل ما

جهد في عمله السحرة الماهرون ، واحضار عرش بلقيس بأسرع من لمح البصر ، وكون النار بردا وسلاما .. وهكذا .. هؤلاء الذين قاموا بهذه الامور المعجزة ناس من الناس ..

اننا مسلمون نؤمن بما يقوله القرآن عن هؤلاء فلنقرأ القرآن بتأمل وتفهم ، ولننزع عن عينيك كل ما يلون صور الاشياء فيعطيها غير الوانها الحقيقية ... فستتلو اكثر من (٣٠٠) آية في حق علي بن ابي طالب وآل البيت يعترف بأكثرها العلماء من جميع الفرق الاسلامية ، ويؤسفني ان اقول الفرق ولكني مضطر اليه ، وتكاد تعرف من لحن القول بعض من يحيد عن الحق قصدا واعتمادا ، او تقليدا وثقة عمياء .

اقرأ القرآن بتدبر وامعان ، وتصفح السنة المقدسة في مضانها فستقرأ احاديث صحاحا تحترمها وتأخذ عن رواتها جميع الفرق الاسلامية ، او اكثرها ،

احاديث صحاح متواترة لا حصر لها تنبئك عن النبأ العظيم ...

أليست آية واحدة من القرآن الكريم كافية لمؤمن بالله ورسوله وكتابه في ان يمتثل ما أراده الله فيها « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم » الا يكفي حديث صحيح واحد من المتواترات في حق أهل البيت مما تحتوي مضامينها لزوم المودة لأهل البيت وفرض التمسك بحبلهم ومعرفة الحلال والحرام منهم وتحريم البعد عنهم والاعتصام بحبل غيرهم فقد اصطفاهم الله لحمل الرسالة ، واجتباهم للامامة فهم صفوة مخلوقاته ، وخيرة بريته ...

والان فلنأخذ على سبيل المثال لا الحصر ، وعلى الاجمال لا التفصيل بعض ما ورد في فضلهم وشرفهم وفرض ولايتهم ... ولك بعدها ما تقول .

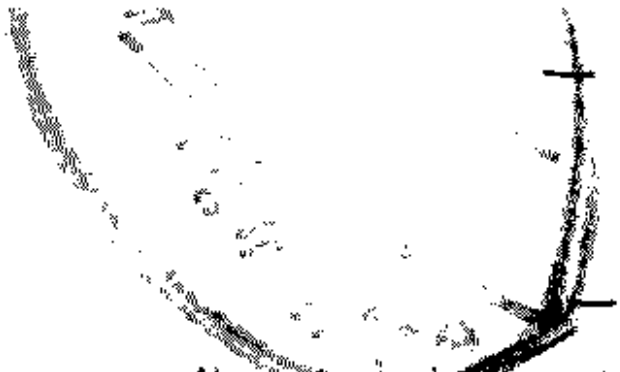

فمما نزل في حقهم من كتاب الله قوله تعالى :

١ ــ « قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى »

انه القرآن الكريم كلام الله تعالى ذكره يأمر رسوله الامين (ص) ان يقول هذه الآية ، وواضح ان هذا الامر (قل) ، تصدر به بعض الآيات اهتماما بما يأتي وراءه ، وكل شيء في القرآن عن حكمة قصدها الخبير اللطيف تبارك وتعالى .

والمقصود بالقربى هم علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وقد تواتر ذلك عن النبي (ص) وأفاض الحديث فيه اغلب المفسرين أمثال الزمخشري في تفسيره (الكشاف) والفخر الرازي في تفسيره الكبير ، ولنذكر بتلخيص بعض ما قاله الفخر الرازي في تفسير

هذه الآية على ان هؤلاء الاربعة هم المخصوصون بمزيد التعظيم « ويدل عليه وجوه الاول : هذه الآية ووجه الاستدلال : ان آل محمد (ص) هم الذين يؤول امرهم اليه ، فكل من كان مآلهم اليه أشد واكمل كانوا هم الآل ، ولا شك ان فاطمة وعليا والحسن والحسين (ع) كان التعلق بينهم وبين رسول الله (ص) من اشد التعلقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر . فوجب ان يكونوا هم الآل .

الثاني : لا شك ان النبي (ص) كان يحب فاطمة . قال (ص) : فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها .. وثبت بالنقل المتواتر عن محمد (ص) انه كان يحب عليا والحسن والحسين (ع) واذا ثبت ذلك وجب على كل الامة مثله لقوله : « واتبعوه لعلكم تهتدون ولقوله « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ولقوله سبحانه « لقد كان لكم في

رسول الله اسوة حسنة » .

الثالث : ان الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وارحم محمدا وآل محمد ...

وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب قال الشافعي :ـ

يا راكبا قف بالمحصب من منى
واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى
فيضا كمنتظم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان اني رافضي »

ولنكتف بهذا ، وواضح ان المراد بالمودة في هذه

الآية واللازم الطبيعي له هو التمسك بحبلهم والاستضاءة بمشكاة أنوارهم ، فان رسول الله ما كان حبه لهم استلاما لعاطفة ، ولم تكن العاطفة لتأخذ من اوامره وتشريعه حرفا واحدا وهو الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ، ولم يكن امر الله بمودتهم وجعل ذلك اجرا للرسالة محاباة لرسوله الحبيب ، بل لانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون فهم الممثلون لشريعته القائمون على تنفيذها ، وقد اختارهم بارئهم لذلك فكانوا موضع رسالته « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » واقرأ ايضا :

٢ ــ قوله تعالى : « انما انت منذر ولكل قوم هاد »

« المنذر النبي (ص) والهادي علي (ع) قال ابن عباس : وضع رسول الله (ص) يده على صدره فقال:

انا المنذر ، ثم اومأ الى منكب علي (ع) وقال : انت الهادي ، بك يهتدي المهتدون من بعدي ... »[1] وما يقرب هذا في الدر المنثور للسيوطي وتفسير ابن جرير وغيرهم من المفسرين والمؤرخين والمحدثين كما في[مستدرك الصحيحين] ج٢ص ١٢٩ وكنز العمال ج١ ص٢٥١ و ج٦ ص١٥٧ ونور الابصار للشبلنجي ص٧٠ ، وكنوز الحقائق للمناوي ص٤٢ ، ومجمع الزوائد للهيتمي ج٧ ص٤١ وغير هؤلاء .

وانتبه لقول الرسول (ص) انت الهادي بك يهتدي المهتدون من بعدي ... واقرأ ..

(٣) قوله تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » .

ذكر ابن حجر هذه الآية الحادية عشرة في صواعقه المحرقة ثم قال : « اخرج الحافظ جمال الدين الزرندي

---

(١) الفخر الرازي في تفسيره الكبير .

عن ابن عباس :

ان هذه الآية لما نزلت قال النبي (ص) لعلي (ع) هو انت وشيعتك تأتي أنتوشيعتك يوم القيامةراضين مرضيين . ويأتي عدوك غضابا مقمحين » ومثله ما ذكره الشبلنجي ص ٧٠ و ص ١٠١ كما جاء في تفسير ابن جرير للآية هو انت يا علي وشيعتك » فراجع . وفي الدر المنثور للسيوطي « اخرج ابن عساكر عن جابر بن عبدالله : كنا عند النبي (ص) فأقبل علي فقال النبي (ص) والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة .. الى ان قال : فكان اصحاب النبي «ص» اذا اقبل علي قالوا : جاء خير البرية .. ثم ذكر الرواية التي نقلناها عن ابن حجر . ثم قال : واخرج ابن مردويه عن علي (ع) قال . قال لي رسول الله (ص) : ألم تسمع قول الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ؟ انت

وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض — اذا جئت الامم للحساب — تدعون غرا محجلين » ...

ولا اظنك بحاجة الى اكثر من ذلك ايضاحا وان شئت فراجع ما كتبه هؤلاء وغيرهم من المفسرين والمحدثين — فستجد ان الحق واضح لذي عينين والحق أحق ان يتبع .. واقرأ ..

(٤) قوله تعالى : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا : الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

وقد اجمع المفسرون على نزولها في امير المؤمنين عليه السلام يوم تصدقه بالخاتم والقصة مشهورة(١)

(١) راجع بتفصيل كتاب المراجعات للامام شرف الدين فقد جمع فأوعى من البحوث الجليلة ذات الارتباط بالمقام كما هو الشأن في بحوثه الاخرى قدس الله نفسه ..

ولحظة من التأمل تدعك تؤمن بانها تعني الامامة العامة .. فالقرآن الحكيم يقول : «انما وليكم ..» وانما اداةحصر ، وولاية الله مطلقةغير محدودة ، وقد قرنت ولاية رسوله الحبيب ووليه بولايته هكذا : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا : الـذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

ولا اظنك ستصغي الى لغة العاطفة في تفسير «الولي» في الآية بمعنى يحاول اصحابه تطويع الآية فيه الى ما يرغبون .

وكان الأولى ان نجعل القرآن قائدنا وعلى هداه نسير ، فهو الكتاب الذي من جعله أمامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفـه ساقه الى النـار كما قال الرسول (ص) وكما في نهج البلاغة وقد ذم قوما بأنهم « عطفوا القرآن على الهوى .. ولم يعطفوا الهوى على القرآن» وتلك هي البلية العظمى .. واقرأ قوله

(٥) « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » ..مع الايات الاخرى التي نزلت يوم الغدير .. وما اعظمه من يوم . أتم الله به نعمتهعلى المسلمين ، وأكمل دينه بولاية علي أمير المؤمنين(ع) ونصبه خليفة واماما للمسلمين .. ورضي لهم الاسلام دينا ...

وقد كان أمر الغدير من الامور التي ليست تخفى بما حفت به من قرائن .. وما حدث فيه من مصاحبات .. فقد كانت حجة الوداع، دعا فيها رسول الله (ص) المسلمين في مختلف الامصار معلنا بأنها حجة الوداع ، وان على المسلمين ان يحضروا ليعرفوا ما سيعلمهم رسول الله (ص) من الحدود والعلامات وما يعطيهم من الدروس .. وقد مهد بكل ما يقيم الحجة ويدفع اللبس ليوم الغدير المبارك حتى

كان يوم الغدير الثامن عشر من شهر ذي الحجة الاغر .. وقد وصل المسلمون — بعد منصرفهم من مكة المكرمة — الى المكان المسمى بغدير خم ، وهو مفرق طرق ...

في هذا المكان ، وفي أشد ايام الحر من فصل الصيف كما يصف المشاهدون والمخبرون عنه ، في هذا المكان أمر رسول الله (ص) أن يحضر المسلمون ويرجع كل من مضى ، وينتظر الحاضرون ليتلو عليهم ما أمره الله به من تبليغ وبهذه الصيغة الشديدة : وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس

المسألة حساسة جدا تدخل بها عوامل النفاق والحسد ...

أترى انه سيقول للمسلمين : انني سألحق بربي واني أوصيكم بدينكم ثم يأخذ بارشاده ووصاياه من هذا النوع ؟ .. وهذا شيء ضروري وشأنه في كل

حال ذلك . ولكن هذا لا يثير ثائرة الحاقدين ولا تظهر فيه حسيكة المنافقين فلا يوجب تخوفا يعطيه الله العصمة من الناس من اجله وتشديدا في وجوب التبليغ « وان لم تفعل فما بلغت رسالته » وانه موقف دقيق جدا كما هو واضح لمن يفهم لغة التخاطب العربي ويؤمن بحكمة القرآن في محتوياته واساليبه، فهو كلام الله تعالى ..

والخلاصة انه قام بما امره الله به وبلغ الناس، وأشهدهم على ذلك ، وقال فيما قال : ألست اولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا اللهم بلى .. فقال (ص) من كنت مولاه فهذا علي مولاه .. وقد رفع عليا حتى بان بياض ابطيهما الى أن أكمل رسالته على الوجه الاتم كما اراد الله فنزلت آية اتمام النعمة واكمال الدين ... ومن ابرز الامثلة على دفائن الحقد على هذا الموضوع موقف الحارث بن النعمان الفهري .

حين شاهد رسول الله (ص) قد أحكم الخطة .. وانفذ الامر الذي لا ترضى به النفوس المعتمةالتي لم ينفذ الاسلام الى الاعماق منها فقد جاء يسأل رسول الله على الملأ من المسلمين هل هذا الامر الذي قام بـــه من الله ؟ فاشهد الله على انه من عند ربه فسأل هـــذا السائل بعذاب واقع وهو اصدق تعبير عن الحقد المضطرم في القلوب المريضة فقد ذهب وهو يقول : اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم .. فنزل به البلاء وحلت به النقمة ثم نزلت الآية التي تلاها رسول الله امام المسلمين : سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج ...

والغدير بما فيه من احاديث تثبت امامة امـــير المؤمنين وتفرض ولايته من المتواترات التي لا تقبل الشك ، بل هو من اعظم الادلة النقلية على امامته ،

ولو تأملته لو جدته متواترا عن طريق الفرق الاسلامية جميعا . والا فكيف يكون الخبر المتواتر ؟ مراجعة بسيطة تدعك تؤمن بذلك فراجع مثلا اسباب النزول للواحدي ص١٥٠ وتفسير الفخر الرازي لهذه الآيات والدر المنثور للسيوطي وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٨ . ص ٢٩٠ ونور الابصار للشبلنجي نقلا عن الثعلبي في تفسيره وغير هذه الكتب امثال تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٣٧ — ٣٣٩ وينابيع المودة للقندوزي في الباب الرابع، ولنكتف بما يقوله القندوزي « في المناقب اخرج محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ خبر غدير خم من خمسة وسبعين طريقا ، وافرد له كتابا سماه «الولاية» ثم قال ايضا : اخرج خبر غدير خم ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقده وافرد له كتاباسماه « الولاية »وطرقه من مائةوخمسة طرق ثم قال وحكى العلامة علي بن موسى بن علي بن

محمد ابي المعالي الجويني الملقب بامام الحرمين استاذ ابي حامد الغزالي يتعجب ويقول : رأيت مجلدا في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير خم مكتوبا عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله (ص) : من كنت مولاه فعلي مولاه ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون[1] .

هذا قليل من كثير في [الاذن الواعية] و [خير البرية] الذي امرنا الله باتباعه حيث قول : وكونوا مع الصادقين وهم الذين اذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرا ، ولقد كان نفس النبي (ص)

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة للسيد مرتضى الفيروزأبادي ج١ ص ٣٩٢ ، وقد ذكرفيهذا الكتاب ايضا اسماء من روى خبر الغدير من الصحابة كما ذكر المصادر الوافية فراجع ج١ ص ٣٨٧ الى نهاية الكتاب ومن اراد التوسع فلا يفوتنه الغدير لثقة الاسلام الاميني خصوصا ج١ والمراجعات للامام

في آية المباهلة وأخاه في اكثر من نص ..

وانت تعلم ان هذا في القرآن الكريم لا يكون اعتباطا ومحاباة بل « الله اعلم حيث يجعل رسالته » ولا شك بأن هذا يبرهن — بوضوح — على العظمة التي لا تجد في الشخصية الفذة بعد الرسول العظيم صلى الله عليه وآله مما لا يستطيع احد مهما ارتفعت مواهبه في البيان ان يوفيها حقها في الثناء وما قيمة ثنائه بعد ما سمعت — وهو القليل مما اشاد الله بـه على وليه من الثناء العاطر في كتابه الخالد ، وبعد ما قال في حقه سيد الكائنات (ص) من الثناء الذي يجعل الكلمات تتلجلج في فم المتكلم وهو يريد ان يقولها في حقه .. ولولا اذنهم لنا في التحدث عنهم وذكر فضائلهم لما كان يسعنا أن نقول عنهم شيئا [وهم هم] ألم يقل الرسول (ص)في حقه يوم برز لعمرو بن عبد ود [برز الايمان كله الى الشرك كله] وما اعظمه من

شرف الدين ص١٧٥—٢٣٤ .

ثناء ،وقال ايضا «لضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين» . فماذا يقول القائلون بعد هذا وما قيمة ما يقولون ؟

* * *

ويحسن بنا ان نذكر شيئا مما ورد عن رسول الله(ص)في حق سيد الوصيين،وامام المتقين تيمنا بذكره الشريف ، واقواله المباركة ، واستظهارا للحجج على ما سبق ذكره من عجز البلغاء عن ان يحيطوا بوصف جانب من جوانب شخصية امير المؤمنين فمما ورد :

(١) « في الرياض النضرة ج٢ ص ٢٢٦ قال : وعن عمر بن الخطاب انه قال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله لسمعته وهو يقول : لو ان السماوات السبع وضعت في كفة ، ووضع ايمان علي في كفة لرجح ايمان علي . قال اخرجه ابن السمان والحافظ السلفي في المشيخة البغدادية ، والفضائلي

وكذلك في كنز العمال ج٦ ص ١٥٦ اخرجه الديلمي عن ابن عمر[١] .

(٢) ويكفي في تعريف منزلة أهل البيت (ع) ورفعة مقامهم انهم اعدال الكتاب : فقد تواتر حديث الثقلين بحيث لا يدع مجالا لقائل ان ينكره او يتجاهل تواتر رواته ... وفيه :

اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ، وفي اغلب هذه الروايات : وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض[٢] .

متواتر لا يقبل الشك من متشكك وان حرفه بعضهم بقوله : اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله

(١) راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص ١٩١ .

(٣) امير المؤمنين من خلال السيرة النبوية .

وسنتي وهذا لو صح فلا يقف في طريق التواتر الثابت في كونه قال : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، على انه لا يصح فان سنته اختلفت في نقلها وفي تفسيرها فرق المسلمين كما اختلفت في الكتاب العزيز .

وكيف يوكل رسول الله (ص) الامر الى ما لا يحفظ وحدتهم واتفاق كلمتهم ، فلو لم ينصب الرسول من يقوم بعده بالرئاسة الروحية والزمنية معا من اختاره الله لها ، واختارها له لاصبحت السنة بدون حافظ يرعاها ويقوم على تطبيقها عرضة للاهواء بسبب الانقسامات التي يحدثها اهل البدع والاطماع والضلال ..

وهل يخفى عليه ذلك ، أم ترى انه لا يهمه امر الامة وما يصيرون اليه .. ولذلك أكد رسول الله على ذلك في نصوص متعددة وبأساليب مختلفة كما ورد مستفيضا في الروايات بين المسلمين عنه (ص) من

مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، فلا بد من عالم بالكتاب والسنة أفضل خلق الله يخلف رسوله الكريم ، وانصحهم لخلقه وانه معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فالسنة لا تكفي وحدها مالم يكن حافظ لها وللكتاب قائم على تبليغها وتنفيذ أحكامها بأمر الله .

ولا يسع في هـذه الكلمة الموجزة استعراض التلاعب والدس في أخبار المسلمين وفي تأريخهم وفي تفسير كتابهم والعوامل التي دفعت بهم الى ذلك كما لا يخفى ..

والمهم ان حديث الثقلين بالشكل الذي ذكرنا كتاب الله وعترتي أهل بيتي من المتواترات التي لاشك فيها من منصف أبعد حجاب العصبية عن عينيه يلاحظ بتفصيل كتاب (المراجعات) للامام شرف الدين ص ٤٩ — ٥٤ .

(٣) ومن هذه الاخبار التي اشتهرت بين المسلمين شهرة عظيمة حديث المنزلة الذي يقول عنه ابن ابي الحديد « الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الاسلام »[٤] وهو قوله (ص) انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لانبي بعدي ٠

واختلاف الرواة الكثيرين في تحديد المكان والزمان الذي سمعوا فيهما هذا الحديث الشريف يدل على تكرير رسول الله(ص) له اهتماما بما يؤديه من المضمون ٠٠

وما اعظمها منزلة ، والذي يؤمن بقدسية الكلمة التي يقولها الصادع بالحق الذي لا ينطق عن الهوى يدرك مقام امير المؤمنين (ع) وجليل منزلته عند الله تعالى ذكره ، فهو من رسول الله سيد الكائنات بمنزلة هرون من موسى ، ولم يستثن الا النبوة اذ

(٤) شرح نهج البلاغة ج١٣ ص ٢١٠—٢١١ ٠

لا نبوة بعـده ، وما اكثر ما تتكرر هذه الكلمـة «بعدي» على لسان الاخبـار المتعـددة عن رسول الله (ص) والمختلفة المضامين ولكنها واضحة في ادائها الغرض المقصود فهو عضد رسول الله (ص) واخوه وشريكه في الرسالة والتبليغ ، ووزيره وخليفته من بعده(٥) .

وبعد فهل تستطيع الكلمات المحدودة ان توفي حق امير المؤمنين (ع) في الثناء والاطراء فضـلا عن عجزها عن تصوير شخصيته العظيمة .

(٤) ومنها قوله (ص) : انا مدينة العلم وعـلي بابها ، فمن اراد المدينة فليأت الباب » فلازم هـذا الحديث الشريف ان من لم يأت الباب لم يصل المدينة

---

(٥) اقرأ التحقيقات الجليلة والمصادر الكثيرة في المراجعات ص ١٥٣ ـ ١٥٩ وفضائـل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٢٩٩ ـ ٣١٧ .

فمن لم يأخذ دينه من علي (ع) فمن غير الرسول اخذ لان من اراد المدينة فليأت الباب[٦] .

(٥) ولنكتف بهذا القدر اليسير ، وما اعظم ما تؤديه من مضامين وما اوضحها في الدلالة. وما ارفعها في السند ولنختتم الحديث بما رواه ابن حجر في صواعقه المحرقة .

« ما انزل الله : يا ايها الذين آمنوا الا وعلي اميرها وشريفها .. ولقد عاتب الله اصحاب محمد(ص) في غير مكان وما ذكر عليا الا بخير »[٧] لانه عبد الله الذي امتحن قلبه للايمان وخبر صدقه واخلاصه في المواطن كلها .

---

(٦) يلاحظ — امير المؤمنين من خلال السيرة النبوية ص ١٠٨ فقد ذكرنا المصادر لهذا الخبر الجليل هناك مع ايضاح ما يدل عليه من مفاد .

(٧) المصدر السابق ص ١٠٦ .

وما اكثر ما ورد في حق علي امير المؤمنين مما لا يختلف فيه من المسلمين الا معاند جانب الحق وصاحب العصبية .. امثال قوله (ص) « علي مع الحق والحق مع علي» ومثل تشبيه اهل البيت بباب حطة من دخلها كان من الآمنين او بسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وغير ذلك مما يثبت امامتهم وعظيم حقهم ولزوم طريقتهم والاعتصام بحبلهم (ع) .

— ٦ —

ولو لم تكن هذه النصوص التي لا تسعها المجلدات الضخام لكان واقع أهل البيت (ع)والحياة التي قضاها علي وآل علي في الجهاد والعبادة والدعوة الى الله ، والمعاجز التي حدثت على أيديهم مما اثبتها لهم التاريخ المحقق واعترف لهم به اعداؤهم مما لا تستطيع الكلمات ان تصفه ، وغير مبالغ من يقول : ان عليا من اعظم معاجز رسول الله (ص) وان نهج البلاغة هو المعجز الذي لا يقاس به نظير بعد كلام الرسول الذي كان استاذه ومربيه .

هذا هو الامام علي (ع) الذي قال : علمني رسول‌الله (ص)ألف باب من العلم يفتح لي من كل‌باب الف باب . وهو الذي قال سلوني قبل ان تفقدوني سلوني عن طرق السماء . » وهذه اجاباته وقضاءه في

الامور المعضلة لم تزل معجزة الاسلام في عصر العلم وهذه مواقفه التي تذهل العقـول في اشد سـاعات المحنة والابتلاء وهو اربطـجأشا واحكم منطقا وامضى عزيمة وافتك ضربا في سبيل الله حتى هتف جبرئيل مكبرا معظما مواقفه :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

وهو الذي باهى الله بهملائكة السماء ليلة مبيته على فراش النبي ..

وهو الذي قال عنه معاوية الد اعدائه • لـو كان له بيتان : بيت من تبر وبيت من تبن لانفق تبره قبل تبنه » وهو الذي قال : والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصي الله في نمـلة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وان دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، مالعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى • هو الذي كان يقول : الجلسـة في

المسجد خير لي من الجلسة في الجنة لان الجلسة في المسجد فيها رضا ربي والجلسة في الجنة فيها رضا نفسي ورضا ربي خير من رضا نفسي » .

هذا هو علي صاحب الفضائل والمعجزات التي لا تحصى والتي قال عنها رسول الله (ص) : « لو ان الرياض اقلام ، والبحر مداد ، والجن حساب ، والانس كتاب ما احصوا فضائل علي بن ابي طالب عليه السلام[1] .

فهل يستطيع بعد ذلك قلم عاجز ان يلم بفضائله، فضلا عن ان يطمع في تحليل شخصيته .

وفي الختام نعود مرة اخرى تتساءل اترى مثل هذا الحديث ليس له نصيب من الواقع .. وان هذه الآيات المتظافرة والحجج المتظاهرة والاخبار المتواترة لم تكن لتصلح براهين ساطعة وأدلة قاطعة على ان امير

(١) نفس المصدر ص ١٠٢

المؤمنين (ع) هو الامام الذي يجب اتباعه وانه صاحب البيعة يوم الغدير وقد تواتر ذلك بما لا يقبل الشك، اترى بعد يصح ما قيل من صاحب العقيدة لا يكون موضوعيا فيما يكتب ولا يستطيع كسر الاطار الذي فرضه عليه مجتمعه الذي يعيش فيه فلا تكون العقيدة التي آمن بها بارادته وتفكيره المجرد .

واذا صح هذا فأي حجة يستطيع الانسان ان يؤمن بها وأي برهان يأخذ به « فبأي حديث بعده يؤمنون ؟ » اللهم اننا آمنا بعلي وآل علي (ع) وواليناهم واتبعنا اوامرهم وسنتهم لانك امرتنا بذلك بمحكم آياتك وعلى لسان رسولك الحبيب فهو صاحب الحق الذي لا يخفى والحق احق ان يتبع ، ولو ملأ الجاهلون الدنيا صراخا وزئيرا فقد والينا البحث والطلب فلم نجد غير أهل البيت قادة لنا فهم الدعاة الى الله الادلاء على مرضاته والامناء على دينه

والمطلعون على سره المرضيون عنده الوجهاءالمشفعون

« اللهم اني لو وجدت شفعاء اقرب اليك من محمد وأهـل بيته الاخيار الائمة الابرار لجعلتهـم شفعائي اليك• فبحقهم الذي اوجبت لهم عليكاسألك ان تدخلني في جمـلـة العـارفين بهم وبحقهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم انكارحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما كثـيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل •

هدية المرحوم الشيخ محمد ال صادق واولاده
الى مكتبة الروضة الحيدرية

مطبعة النعمان النجف تلفون ٩٧

هدية

مكتبة الامام الحسين ع العامة

في السماوة

بمناسبة ذكرى الغدير المبارك

مطبعة النعمان النجف تلفون ٩٩٧